

أضواء البيان

@ 338 : رَبِّ نَدَاً أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ {

فهذا الصراح المذكور في هذه الآية العام للمترفين وغيرهم ، هو الجوار المذكور عن المترفين هنا ، ومن إطلاق العرب الجوار على الصراح والدعاء للاستغاثة قول الأعشى : % يراوح من صلوات المليك % فطورا سجودا وطورا جوارا) .

والجوار المذكور : هو النداء في قوله { كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَواْ وَوَلَاتَ حَيِّنَ مَنَاصٍ } لأن نداءهم نداء استغاثة واستصراخ وكقوله تعالى : { وَنَادَوْاْ يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ } ، لأن القضاء عليهم من أعظم الأمور التي يطلبونها ، فيستغيثون بالموت من دوام ذلك العذاب الشديد ، أجارنا [] وإخواننا المسلمين منه وكقوله تعالى : { وَإِذْ آأُلُقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَّقْرَرَ نَيْنَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَّا تَدْعُواْ الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا } وذلك الدعاء بالثبور الذي هو أعظم الهلاك ، والويل عن أنواع جوارهم والعياذ بـ [] . وقوله تعالى في هذه الآية { لَّا تَجْرُؤُواْ الْيَوْمَ إِزَّكُمْ مِّنَّا لَّا تَنْصَرُونَ } يدل على أنهم إن استغاثوا لم يغاثوا ، وإن استرحموا لم يرحموا ، وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله : { وَإِن يَسْتَعِثُّواْ يُغَاثُّواْ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا } . . .

7 ! . ! 7

قوله تعالى : { قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ ءَعْلَىٰ ءَعْقَابِكُمْ تَنكِبُونَ } . لما بين أن المترفين من الكفار إذا أخذهم ربهم بالعذاب ، ضجوا وصاحوا واستغاثوا ، وبين أنهم لا يغاثون كما أضحناه آنفاً بين سبب ذلك بقوله : { قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي } أي التي أرسلت بها رسلي { تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ } : تقرأ عليكم واضحة مفصلة ، فكنتم على أعقابكم تنكصون : ترجعون عنها القهقري . والعقب : مؤخر القدم ، والنكوص : الرجوع عن الأمر ، ومنه قوله تعالى : { فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِيئَتَانِ نَكَصَ ءَعْلَىٰ عَقْبَيْهِ } ومنه قول الشاعر : { فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِيئَتَانِ نَكَصَ ءَعْلَىٰ عَقْبَيْهِ } ومنه قول الشاعر : % (زعموا بأنهم على سبل النجا % وإنما نكص على الأعقاب) % .

وهذا المعنى الذي ذكره هنا : أشار له في غير هذا الموضع كقوله تعالى { قَالُواْ

رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنَ وَأَخْدَيْتَنَا اثْنَتَيْنَ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ * ذَلِكَ بِمَا زَوَّجْتَنَا بِهِ الْوَعْدَ الَّذِي نَكَرْتُمْ وَالْحَدِيثَ الَّذِي نَكُفِّرُكُمْ بِهِ تَوَلَّوْنَا لَهُ الْاَلْبَابَ * فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ { فكفرهم عند ذكر ا وحده ، من نكوصهم على أعقابهم ، وبين في موضع آخر أنهم إذا تلى عليهم آياته ، لم يقتصروا على النكوص عنها ، على أعقابهم ، بل يكادون يبطشون بالذي يتلوها عليهم ، لشدة بغضهم لها ، وذلك في قوله تعالى : { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي